غلاف / حبيبة محمد
أربعون عام من الفقر
سيد أحمد أمين

أربعون عاماً من الفقر

سيد أحمد أمين

الكتاب: أربعون عام من الفقر

مؤلف الكتاب: سيد أحمد أمين

غلاف: حبيبة محمد

داخلي وتنسيق: مي مجدي

رئيس المجلس: يمنى عبدالعزيز

المدير العام ١: مريم محمد

المدير العام ٢: نورهان سيد

المدير العام ٣ : حياة رؤوف

النائب العام: نهال عبدالواحد

إن تم تحميل هذا العمل من موقع آخر أو مكان آخر فيعد إنتهاكًا لحقوقنا وسرقة أعمالنا وسرقة حق المؤلف.

ويمكنكم التواصل معنا عبر منصاتنا:

الجروب:

https://facebook.com/groups/shrelrawayat/

البيدج:

https://www.facebook.com/ShrElRawayat/

المنتدى:

https://shrelrawayat.com/

تطبيق سحر الروايات:

https://play.google.com/store/apps/details?id=com.sehr.elrwayat

بوت سحر الروايات للروايات:

https://t.me/Kyanshrelrawayatbot

بوت سحر الروايات إسلاميك:

https://t.me/EslamicShrElrawayat2019bot

ويمكنكم أيضًا مراسلتنا عبر البريد الإلكتروني والواتساب:

البريد الإلكتروني: ShrElRawayatt@gmail.com

الواتساب: ٠١١٠٠٨٠٣١٥٩ / ٠١١٢٣٩٤٨٧٩٠

إهـــداء :

أهدى هذا العمل لكل من ساهم في نشر هذا العمل ولأبوي ولكل قارئ

محب للقراءة.

المقدمـــــة

هي قصة حقيقية لشخص ولد في مدينة تتأجج بأصوات الحيوانات الضالة والتي لا تترك أي شخص حتى تنهش لحمه وتتركه وحده يأن حتى يموت والناس تشاهد هذا كله ولا مغيث بل منهم من يرقص لتلك الحيوانات الشرسة ومنهم من يطبل لها ويصفق لها ويغني لها ويهتف باسمها بل منهم من ركع وسجد بين يديها كأنها الله سبحانه وتعالى فما يزيد تلك الحيوانات إلا ظلماً وطغياناً فامتلأت البلاد بالدماء وأشلاء الأطفال فلم تعد ترى إلا منظر الدماء والصحراء والفقراء وتجار الموت الذين يعبثون بأرواح وحياة الأبرياء.

الفصل الأول

ولد محمود لأب فقير وأم أميةّ ولكنهما مُلئا بالحنان والعطف والعطاء فمع هذا الفقر والخوف الذي يعيشونه إلا أنهما لم يشعراه أبدأ بالجوع ولا الحاجة أو حرمان فكل ما يطلبه يجده وكل ما يلزمه تحت أمره فهذا الأب يدافع عن أبنائه دوماً بكل قوته لا يهاب الموت ولكنه القدر الذي اختاره الله له ، فحكمة الله لا يعلمها إلا الله فهو يعطي ويمنع، يخفض ويرفع ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فيموت الوالد عن عمر يناهز الخميس من عمره ويترك محمود لأم لا تملك سوى أن تكون في بيتها تطهوا وتنظف ثيابهم أما الآن فصار البيت بلا راع سواها ولكن محمود الذي لم يتجاوز الخمسة عشرة حتى الآن يأبى إلا أن يذهب فيبحث عن عمل ويترك دراسته فلا مكان للعلم وسط الفقر والجوع ، ويجد عملاً في مطعم فيعمل محمود في بعض المطاعم فيغسل الأطباق ويساعد من هم اكبر منه في المطعم سناً وحرفة فهو لم يتجاوز عمره الخامسة عشر حتى

الآن ويأتي من يريد الزواج بأخته بعدما كبرت وصارت في العشرين من عمرها ويتزوج أختها شاب من عائلة بسيطة أيضاً ويعمل في مصنع لصناعة الأواني الفخارية فلا يتقاضى الكثيرمن الأموال ولكن ابوه ترك له منزلاً ورثه عن أبيه فتتزوج أخته وتترك له المنزل وليس به إلا أمه وبعض الأشياء التي ينامون عليها ويضعون فيها أمتعتهم وسرعان ما يكبر محمود وتكبر معه الدنيا بما تحمله من متاعب وألم وعنت وفي طريقه إلى المنزل تجلس بجواره فتاة لفت نظره شدة نظرها له فكان يتوق إلى علاقة في يوم ما فقد كان يسمع من رفاقه في العمل والشارع قصصهم وحكايتهم المثيرة عن تلك الفتيات، فأخذ ينظر إليها في خجلٍ فهو لم يعتاد أن يكلم فتاة غير أخته ولكنها كسرت هذا الحاجز المنيع وقالت له:

هل شيماء أختك يا محمود؟

فنظر إليها في استغرابٍ ولكنه فرح بكلامها معه،ثم قال لها:

أتعرفين شيماء اختي الكبيرة؟

فقالت له نعم هي من كانت تذاكر لي دروسي في الصغر وكنت احبها جماً ،وكانت تعلمني القراءة والكتابة وانت تلعب مع الأطفال الذين كانوا في نفس عمرنا فدهش محمود من كلامها وابتسم ابتسامة رقيقة يكسوها الخجل ثم قال لها:

وانت ما إسمك؟

فقالت وهي تنظر في عينيه:

إسمي هدير، وانت ما إسمك لقد نسيت؟

فنظر إليها وقال لها:

اسمي محمود، ثم سكت فقالت له وفي أي مدرسة الآن؟

فنظر إليها محمود وعينيه قد ملأت بالدموع وقال في حزن:

انا...!

لقد تركت المدرسة منذ أن مات أبي، فقالت له هدير:

وماذا تعمل الآن؟

فقال لها محمود:

أعمل في مطعم للكشري حتى أستطيع أن انفق على أمي ونفسي فليس لنا أي دخل منذ أن مات ابي.

دقائق وانتهى الطريق وهمت هدير أن تنزل فقالت لمحمود:

أتركب كل يوم هذا الأتوبيس في نفس الوقت؟

فقال لها نعم كل يوم في نفس الميعاد فأنا أنتهى من عملي واذهب إلى المنزل وانت؟

فقالت وأنا انتهى من دراستي في نفس الموعد ثم همت بالنزول وقالت:

هيا غداً نلتقي سلام، فنظر إليها محمود وقال لها:

غداً أراك فنزلت هي قبله بعدة محطات فهام في التفكير بها حتى نزل فقد خطفت لبه بمنظرها البراق ولون عينيها الساحرتين وحسن منطقها وعذوبة صوتها الدافئ الذي يخرج كأنه لحن جميل لأفضل الملحنين ، ثم نزل هو بعد قليل إلى منزله ولا يفكر إلا بها ولا يشغله سوى منظرها الأخاذ ويأتي الغد بعدما سهر طوال الليل يفكر في الغد وينتظر انتهاء عمله على أحر من الجمر ويتقابلا سوياً مرة أخرى في الأتوبيس وقد سرَّ كلٌ منهما بالآخر، فجلس محمود بجوارها فهو من داخله كأنه دخل الجنة من أوسع أبوابها فابتسمت هدير ابتسامة هادئة وقالت لمحمود:

كيف حالك اليوم؟

فابتسم قائلاً:

الحمدلله علي كل حال،ثم نظرت إليه هدير وقالت:

السماء بها من الغيوم الكثير، فنظرمحمود أيضاً وقال:

إنها ستمطر، فقالت هدير:

لا لن تمطر فنحن لا تمطر عندنا إلا مرة أو مرتان في العام، فقال لهامحمود:

أود أن أجلس معك بعض الوقت هيا لننزل المحطة القادمة ونجلس في هذه الحديقة القادمة فهي من أروع الحدائق العامة، فقالت هدير:

هيا، أنا مستعدة، فابتسم محمود ونزلا، ثم أمسك بيدها حتى دخلا إلى الحديقة وأخذا يتحدثان مع بعضهما عن سكنهما ودراستها وما عاشوه من أيام وكيف يعيشون فاعترف محمود لهدير بحبه لها وأنه يفكر فيها من لحظة أن شاهدها فقالت له هدير:

أنت متسرع يا محمود، فهل يأتي الحب من ليلة وضحاها؟

نحن لم نزل لا نعرف ماهيةّ علاقتنا هل نحن أصدقاء أماذا؟

فقال لها محمود وقد نظر لها في تعجب وهو يبتسم:

ولكني لا أعرف أي فتاة غيرك فقد أحببتك من أول نظرة ومن أول لقاء كأننا نعرف بعضنا من سنوات كثيرة، أما سمعت عن الحب من أول نظرة؟

فقالت هدير:

سمعت ولكن دعنا نتعرف على بعض أكثر، فقال لها محمود وقد تضايق:

كما تشائين، ولكني لن اغير رأي فأنا احببتك وما زلت أحبك ولن أحب غيرك ما دمت علي قيد الحياة ،فقالت له هدير:

كلامك يا محمود سوف يجعلني أحبك، ثم قامت وقالت:

هيا كفى اليوم هيا لنذهب إلى منازلنا وغداً نلتقي ، فقام محمود وانصرفا إلى منزلهما، وفي اليوم التالي افتقدت هدير حبيبها محمود فلم تره هذا اليوم فغضبت وأخذت تبحث في هاتفها المحمول عن رقم

لمحمود أو صفحة على الفيس عساها أن تكلمه ولكنها لم تجد أي شيء يدلها عليه وعلى عنوانه ، فمضي اليوم واليوم الثاني والثالث فلم تره حتى شغل يومها وليلها كله فأخذت تسأل عن عنوانه الجديد بعدما ذهبت إلى عنوانه القديم وعلمت أنه ترك هذا المنزل هو وأمه بعد وفاة الوالد ، ولكنها لم تيأس ولم تفتر حتى وصلت إلى عنوانه وقرعت هدير جرس المنزل ففتحت أمه الباب،فنظرت هدير لأمه ثم قالت:

السلام عليكم ، فقالت لها أم محمود:

وعليكم السلام ورحمة الله، ماذا تودين أن أقدم لك؟

فقالت هدير:

أنا أسأل عن محمود فأنا صديقته، هل هو هنا؟

فقالت الأم وهي تنظر في تعجب:

نعم هو بالداخل ولكنه مريض ويلازم الفراش، فدخلت هدير عليه فإذا هو به من الإعياء ما به وبه حُمة ورجفة ملحوظة حتى إنه لا يكاد يصلب رأسه، فجلست بجواره هدير وهي تخاطبه بلطف قائلةً له:

ماذا جرى يا محمود ماذا ألمّ بك؟

فنظر إليها محمود وقال لها بصوت خافت وعينيه شبه مغمضتين:

أحبك ياهدير، فقالت له هدير لا تتعب نفسك واسترح ، ثم دخلت الأم بما أعدته من شراب لهدير فتناولته هدير ثم رشفت منه رشفة، ثم خرجت أم محمود ، وبعد قليل دخلت ومعها الدواء وبعض الطعام كالحساء وقطعة لحم، ثم جلست بجوارهما وقالت لمحمود:

هيا يامحمود قم لتأكل أي شيء حتى تأخذ الدواء ، فلم يستجب فهمست أمه لهدير وقالت لها هيا أجلسيه يابنيتي فلعله يسمع كلامك

ويجلس لتناول أي طعام ، فهو لم يذق أي طعام منذ ثلاثة أيام، فقالت لها هدير سأفعل ياأمي ، ثم أخذت هدير تجلسه وهي تقول له:

هيا يامحمود هيا اجلس أتريدني أن أذهب وارحل، فنظر إليها محمود وحاول أن يجلس حتي اعتدل بعض الشيء وهو ينظر إليها ويحدق في وجهها، فاقتربت منه ووضعت يدها خلف ظهره ثم امسكت بالملعقة وأخذت تحسوا له من الحساء وتناوله في فيه وهو يحتسي المرقة وينظر إلى عينيها في تأمل بالغ انسته مرضه وما هو فيه ثم أخذت تقطع له قطع اللحم وهو يأكل، ولكنه لم يكمل طعامه كله وقال لها كفى لا أستطيع ، فحاولت معه ولكنه امتنع فناولته الدواء ثم جلست معه بعض الوقت وقالت له:

سأنصرف الآن لقد تأخرت فأمسك محمود بيدها وهمس لها قائلاً:

أحبك ياهدير، فقالت له هي أيضاً:

وانا كذلك، ثم قامت لتنصرف، فقالت له وهي تهمس في أذنه:

أنا سأذهب وسوف أزورك غداً، أحبك يا محمود، ثم تركته وانصرفت إلى منزلها فهي عادة ما تكون لوحدها فأبيها قد طلق أمها وانفصلا عن بعضهما وتزوج الأب وتزوجت الأم فهدير تقيم مع عمتها المسنة لوحدهما فلا رقيب عليها من أحد سوى عمتها التي لا تكاد تقوم من سريرها الا لدخولها الخلاء أو لضرورة قصوي فقدميها وظهرها قد أنهكهما المرض وفي اليوم التالي ذهبت هدير إلى محمود في منزله لتراه وتطمأن عليه ، فدخلت عليه فوجدته قد برأ بعض الشيء فأخذت تداعبه وتقول له:

هيا يامحمود، هيا لتنزل إلى عملك ، أم اعتدت على الراحة والتدليل ، ثم جلست بجواره فقالت لها الأم:

والله يابنيتي لقد برأ علي يديك منذ أن جئت إلى هنا.

وكانت في المنزل اخته شيماء فصافحت هدير ورحبت بها وأخذا يتذكرا ما كان في الماضي وما كان بينهما من ود ومذاكرة ولم تمكث هدير هذه المرة كثيراً وانصرفت علي الفور لتذهب إلى بيتها وهي تفكر في محمود وفي شأنه وتقول في نفسها:

لماذا نحن هكذا ولماذا هذا العذاب وما نحن فيه من عنت؟

فشتات وضياع وذل وحرمان من أي شيء، فإما أن نحرم المال أو نحرم من الأب أو الأم أو من كليهما ، فتعب كلها الحياة وما بها من أحد سعيد أو منّعم بكل شيء، فلابد من النقصان في كل شأنها، فالكمال لله وحده ونحن لسنا في جنة بل هي الدنيا يخفض الله فيها من يشاء، ويرفع ويعز ويذ، فلو كانت فيها سعادة دائمةً ما سميت دنيا ولكن السعيد من رزق بحب الله والقرب من مولاه سبحانه وتعالى.

-وصلت هدير إلى المنزل فوجدت نفسها في خلوة ووحدة بين الفيس والإنترنت وما من أحد يملأ عليها المكان فهامت في التفكير بمحمود وحبها له، فقررت الاتصال به فهي قد أخذت منه رقم الهاتف والحساب الذي يملكه للفيس بوك ، فكلمته هديرعبر الهاتف، ثم سارع بالرد عليها فقال لها محمود:

كيف حالك ياهدير؟

فقالت له هدير:

الحمدلله، وأنت كيف حالك الآن هل أنت علي ما يرام؟

فقال لها محمود:

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشعر بتحسن بعض الشيء، فمنذ أن رأيتك وأنا في تحسن وسعادة بالغة لا تضاهيها سعادة ، فقالت له هدير وهي تبتسم:

ما هذا؟ ما كل هذا؟

لقد أصبحت تقول الشعر بعدما مرضت؟

فقال لهامحمود:

ماذا تفعلين الآن هل أنت نائمة؟

فقالت له هدير:

لا لست نائمة أنا لا انام الآن فالتفكير والوحدة تقتلني، فقال لها محمود:

حدثيني عبر الماسنجر فإني أود أن أرى وجهك الوضاء الذي يشرق بالنور فقد افتقدتك وأحب أن أرى طلعتك البهية.

-صوت الهاتف يخبره ببدء المحادثة عبر الماسنجر، ففتح محمود هاتفه فسمع صوتها ورأى وجهها وظلا يتحدثان لأكثر من ساعة ثم أنهي

محمود المحادثة بعدما سمع هدير تصرخ وتبكي فهي ذهبت إلى الداخل لتقدم لعمتها الطعام فوجدتها قد فارقت الحياة، فقال لها محمود:

ماذا حدث يا هدير؟

فقالت له وهي تبكي:

لقد ماتت عمتي يا محمود، ثم أغلقت الهاتف وأغلق محمود هاتفه وأتى إليها مسرعاً فوجد الناس قد ملأت المكان ولم يقدر محمود أن يصل إليها من كثرة الناس ولكنه لم يملك إلا أن يتصل بها ويعرفها أنه هنا ولكنه كان يود أن يسارع في فعل أي شيء معها ولكنه لم يستطع من الناس ولا سيمّا وأن والدها وأهلها لا يعرفونه ولا يعرفون من هو، فحضر محمود مراسم الجنازة حتى شيعت ودفنت.

مرت الأيام تباعاً والليالي مسرعة، فالأيام والليالي تمر سراعاً فالسنة كالشهر والشهر كالأسبوع والأسبوع كاليوم ، ولا بركة في وقت أو أي شيء في هذه الأيام فكل شيء لا يعود لأصله.

اتصلت هدير بمحمود بعد مرور أكثر من أسبوع علي وفاة عمتها ثم قالت له:

لقد اشتقت إليك يامحمود وأريد رؤيتك، فكيف أراك؟

فقال لها محمود:

وأنا أكثر منك، فلقد اشتقت إلى منظر وجهك المضيء ولمسة يديك الساحرة ،فقالت له هدير:

أنا أجلس في المنزل بمفردي وليس معي أي أحد، ألا تأتي إلى ام عندك ما يشغلك الآن؟

فقال لها محمود:

لا ليس عندي ما يشغلني سواك ، فأنت عندي كل شيء، ولكن كم الساعة الآن؟

فقالت هدير:

الساعة الآن العاشرة وسبع دقائق ، ولكن لماذا تسأل عن الساعة؟

فقال لها محمود:

حتي أرى إن كان الوقت مناسب لأن للذهاب إليك ، فقالت له هدير:

لا ليس هناك ما يمنعك من تأتي إلى ، فأنا في انتظارك ،فقال لها محمود:

وهو كذلك، ثم أنهى محمود مكالمته معها ليرتدي ملابسه وبعد دقائق من الوقت وجد نفسه عندها أمام منزلها فاتصل بها ثم قال لها:

أنا أمام المنزل هيا افتحي ، فنزلت مسرعة نحوه لتفتح له الباب وثغرها الباسم جعله يهتز طرباً اما هي فسعادتها به قد ظهرت على وجهها فوجهها يتهلل فرحاً فدخلا معاً إلى الداخل وابتسم محمود قائلاً لها:

لو جاء والدك أو جاءت امك ماذا نفعل هل يعطونك الحرية الي هذا الحد؟

فقالت له هدير:

لا ليست حرية بل هما ليسا في مصر هذه الأيام ، فأمي مع زوجها في لبنان وأبي قد غادر القاهرة منذ أن ماتت عمتي لتركيا وترك لي بعض المال حتي يعود، فقال لها محمود:

لا تغضبين من كلامي، فأنا لا أقصد مضايقتك لأني أحبك، ثم أمسك بيدها ونظر في عينيها وأخذا يحدقا في بعضهما بعض الوقت ثم قالت له هدير:

هيا اجلس فترك محمود يدها وجلس علي المقعد ثم تركته هدير ودخلت لتأتي له بالشاي.

وبعد برهة أتت له بكوب الشاي وجلست بجانبه وتبادلا أطراف الحديث، فقال لها محمود:

كيف تنامين بمفردك في هذا المنزل الكبير؟

فضحكت هدير ثم قالت:

نعم أعيش فيه بمفردي دون أي شيء فقد اعتدت علي ذلك ، ثم أخذ محمود يرتشف الشاي وبعد قليل أفرغ كوبه ثم اقترب من هدير، فقالت له سوف أذهب لأحضر العشاء ، فقد بلغت من الجوع مبلغاً، فقال لها محمود:

على الرحب والسعة ، فدخلت هدير لتحضر الطعام في الداخل ثم اتصلت أم محمود به وسألته لماذا تأخرت هكذا؟

فقال لها محمود عندي بعض العمل هذه الليلة وسوف أعود عندما انتهى من العمل، ثم أتت هدير بالطعام ثم قالت لمحمود:

هيا لنأكل فتقدم محمود ليأكل ويتناول لقيمات ثم قال لها:

ءأنت من طهيت هذا الطعام؟

فقالت له هدير:

نعم أعرف أني لا أجيد الطهي ولكني أتعلم، فقال لها محمود:

بل على النقيض، فالطعام لذيذ وشهي وأنت طاهية جيدة ، ولكن من علمك الطهي؟

فقالت له هدير:

إنها عمتي من علمتني كل شيء، فقد علمتني أن أنظف ملابسي وأطهو الطعام وأنظف وأرتب المنزل وأعتمد على نفسي في كل شؤون المنزل،

فقال لها محمود:

إنها عمة رائعة ولها بنت أخ أروع وأجمل، فقالت له هدير وهي تبتسم:

بل أنت أروع رجل وأول رجل أعرفه ، فقام محمود ليغسل يديه وهو يقول لها:

سلمت يدك ،فابتسمت هدير وقالت له:

إنك لم تشبع، فلماذا لم تكمل طعامك؟

فقال لها محمود:

الحمد لله لقد شبعت ، ثم قامت هدير من طعامها ولملمت الأواني وما تبقى من طعام ثم ذهبت إلى غرفتها وبعد قليل أتت وقد ارتدت أجمل اللباس وأنضر الثياب ومعها الشراب المصنوع من الخمر، فلما رأى هذا محمود لفت انتباهه فحملق بعينيه وأفسح لها المكان حتي جلست وتناول منها الشراب بعدما ثم وقف وأخذ منها ما أتت به وقال لها:

ما أجملك وما أحلاك بهذا اللباس الفاتن المبهر، فنظرت إليه هدير وقالت له:

أحبك يامحمود ،

وبعد ليل قضياه مع بعضهما استيقظا في الصباح على كابوس ما فعلاه لتندم هي على ما فعلته ويندم هو أيضاً ولكن حبهما جعلهما لا يتأثران بما فعلاه فقد شعرا بلذة ونشوة لم يشعران بها من قبل، ولم تنقطع العلاقة بالذي حدث بل تماديا في حبهما لمرات ومرات فيشربا ويأكلا ويسهران وينامان مع بعضهما وفي سكون الليل وصوت الظلام وهمسات القلوب وتلاقي الأحبة ببعضهما كأن السماء تمطر حنيناً ودفئاً وخلو المكان من أي أحد غيرهما فيعطي الروح السكينة والدعة مما يجعل القلب ينبض بلحن الحب الصافي ويغرد كالعصفور فوق الغصن مبتهجاً .

الفصل الثاني

-أتت الرياح بما لا تشتهي السفن، فذهب محمود إلى عمله ككل يوم به من التعب والإرهاق ما به، فتراه مرهق البدن ثقيل الحركة صعب المراس ويغيب يوماً ويذهب يوماً حتى إذا ذهب يوماً من الأيام كعادته ليلاً إلى بيت هدير، ففتح الباب كما يفعل كل يوم فهي قد أعطته المفتاح ، وبينما هو كذلك وجد الباب مفتوحاً ووجد هدير تصرخ، فأسرع إلى الداخل ليجد شاباً في الثلاثين من عمره يضرب هدير ويحاول اغتصابها ويدخل محمود عليه فيرفعه عنها ويضربه ولكن هذا الفتي لم يخشي من محمود فرد له الضربة ولكن محمود أمسك بسكين كان ملقيً علي الأرض وأخذ يطعن هذا الشاب عدة طعنات مما أودت بحياته على الفور وملأت الدماء المكان وصرخت هدير صرخة جعلت من بالخارج يأتون مسرعين، فاجتمع الناس وأتت الشرطة فقبضوا على محمود وأخذونه إلى السجن ...وهناك وما أدراك ما هناك؟

فحرمان وعنت وضيق وألم.

-قبع محمود في السجن بين الجدران التي تحكي مئات الحكايات عن أناس سجنوا في هذا المكان، وحرم محمود من حبيبة قلبه، والتي كانت له كل متعته وحياته، فهدير والتي شاء القدر أن يفعل بهما هذا جعلت من ليله كدراً ووباء عليه، فيذكره الليل بما كان ويتذكر أمه التي يفكر في أمرها وكيف تعيش من دونه، فغالباً من تأثرت هي الأم، ومن بكت وغمت هي أمه، فالأم تملك القلب الدافئ والعطاء المتدفق والعطف الفياض، فمهما كان للمرء ألف امرأة ما كانت له مثل أمه، فهي من تتألم لألمه وتحزن لحزنه وتفرح إذا فرح، هي نبع الحنان، وهبة الرحمن، ونهر الخير، فما في الدنيا مثل الأم، ولكن رغم ذلك فهناك الأم غليظة القلب والتي لا تعرف سوى المال أو المتعة، فترى هذه الأم قاسية القلب تفرط في أولادها، بل من السهل تركهم والخوض خلف شهوتها ومتعتها،، ومن الأمهات من تفرق بين بنيها، وهذا لعطاء أحدهم لها أكثر

من الآخر، فترى معاملة مختلفة، وترى تفاوت في الحب والحنان والدعاء.

تمضي الأيام والليالي بكل حرن وقلق وألم فعرض محمود على النيابة، فقال لهم كل شيء حدث معه منذ أن دخل بيتها وعلاقته بها وأنه كان يدافع عن نفسه وعن هدير حينها، ثم أتى اليوم الذي يحاكم فيه وبعد شد وجذب بين محاميه الذي أتت به هدير وبين النيابة فحكم عليه القاضي بالسجن لمدة ثلاث سنوات وكانت معه هدير في المحكمة تحضر قضيته وتشاهده وتودعه قبل أن يذهب إلى السجن وتقول له:

لا تقلق يامحمود لن أتركك وحدك سأكون معك دائماً بقلبي وبكل شيء أملكه فلن أتخلى عنك أبداً فوضع محمود يده في يدها ونفسه تتحسر وتتقطع ألماً علي فراقها والبعد عنها ، ويزداد ألمه بعدما رأى أمه وأخته،

فهذه الأم التي كان يكذب عليها ويخدعها، فخر بين يديها وبكي لأمه وطلب منها أن تسامحه قائلاً لها:

سامحيني يا أمي كنت أكذب عليك فلا تغضبي مني، لقد فرطت فيك فمن لكِ بعدي يا أمي، وبكت الأم بكاء مريراً يدمي القلب ويقطعه فقالت له:

لا يامحمود لست غاضبة منك وسوف أدعوا الله لك ليل نهار حتى تخرج عن قريب فإن شاء الله، فمضي محمود مع الحارث الى سيارة السجن ودخل محمود سجناً بعيداً عن سكنه وكان معه فلازمه رجلاً يدعى عواد فقربه منه وأحب رفقته ، فهذا الرجل قتل ودخل السجن ولكنه ليس ككل القتل بل هذا الرجل يقتل من أجل المال فهو قاتل مأجور ولكنه رغم ذلك لما قص عليه محمود قصته جعلته يحنو عليه ويرعاه ويدافع عنه فقد قال له إنك تشبهني في صغري في كل أحوالك

فقد كنت مثلك حرمت من أبي ومن كل شيء وحبست لأول مرة من أجل جريمة لم أفعلها، فأتت له هدير كما كانت تأتي له بين الحين والآخر، ورحلت، فهام في ذكراها، وفي ما كان بينهما، وبين سكون الليل وصوت السجن المفزع يرسم صورتها في خياله ويظل يتحدث إليها أكثر الليل ويقول لها إلى متى نظل في ابتعاد عن بعضنا؟

متى نلتقي؟

ولماذا لا تتكلمين معي؟

وماذا أسكتك؟

ولماذا تبكين أتنامين وحدك بلا أنيس؟

ومن ينام معك إلى الصباح غيري؟

لقد اشتقت إليك كثيراً واشتقت إلى بسمتك وضحكتك وإلى صوتك الرنان اشتقت إلى النوم بجوارك ولمسة يديك الحانيتين ورائحة فمك التي تشبه رائحة النعناع.

وبعد مرور أيام تأتي له هدير ووجهها قد شحب وتغير فلما شاهدها هكذا نظر إليها في تعجب وقال لها ماذا بك ؟

لماذا تغير وجهك ؟

فصمتت برهة من الوقت وكرر على مسامعها السؤال ، فقالت إني حبلى منك يا محمود وفي شهري الخامس وقد واجهت الكثير من المشاكل والمتاعب مع أهلي فأرادوا مني أن أضع الجنين قبل ميعاده عنوة فلم أنصت لهم وأرادوا أن يزوجوني من رجل أتى به أبي فلم أوافق ، فقال لها محمود لا عليك فإن أردت أن أكتب عليك هنا سأفعل وحبذا لو تتعجلين بذلك فأنا لا أستطع العيش من دونك أبداً ما

حييت، والله ياهدير إن صورتك لا تفارقني أبداً في ليل أو نهار لقد سجنت في سجنين، فسجن أنا بين جدرانه وسجن حبك الذي حبست نفسي فيه، فقالت له هدير:

وأنا يامحمود لم أنساك ولن أنساك أبداً وحبك لا يفارقني فقد قضينا مع بعض عدة أيام وليال لا تنسى، فقال لها محمود:

عليك أن تعتنين بنفسك يا هدير وبولدي ،ثم صاح قائلاً:

لقد تذكرت ، ماذا تنوين أن نسميه؟

فقالت له هدير:

لا أعرف ، بل اختر له انت أي إسم، فقال لها:

أهم من ذاك هو تضعي حملك وتكوني في أحسن حال فأنا أراك متعبة من الحمل.

نادي الحارس بصوت مرتفع قائلاً:

الزيارة انتهت، فودعت هدير حبيبها محمود قائلة له:

سنحدد متي نكتب عقد زواج في أقرب وقت ، ثم مضت هدير وتركته بين ذلك السجن وبين ما قصته عليه من هذه الأخبار التي نصفها أسعده ونصفها أدمى قلبه، ثم دخل محبسه فوجد رفيقه في السجن يجلس وحده ، فجلس بجواره في صمت ولكن رفيقه قطع عليه صمته وقال له:

ماذا ألم بك؟

يا بني انظر إليَّ فأنا لا يأتيني زائر وليس لي أي أحد في الدنيا فلا تشغل نفسك بما هو خارج الجدران وانشغل بنفسك هنا فأنت بذلك ستطيل أيامك ولياليك في هذا الحبس، والله يا بني لا يوجد أي شيء في الدنيا يستحق ذلك.

-مرت الأيام وأتت هدير ومعها من يكتب عقد الزواج ومعها أمها فيكتب كتابها ففرحت بذلك ولكن الحزن خيّم عليهم فقد تمنوا أن لو كان محمود خارج السجن ويقضيا ليلة عرسهما مع بعضهما وبعد عدة شهور أنجبت هدير مولودها وأسموه؛ كريم فرأى محمود ابنه وسر به ، ولكن فرحته لم تكتمل فقد جاءت له أخته بخبر موت أمهما، فبكى محمود على موتها وحزن أشد الحزن لأيام عديدة وكلما تذكر كلام أخته عندما قالت له لقد كانت أمك تذكرك عند موتها وتبكي علي فراقك بين الفينة والفينة ولم يكن على لسانها قبل أن تموت إلا أنت، فقد كانت تلهث باسمك وتكرره مراراً ، ولكن رفيقه في الحبس كان يصبره دوماً علي كل ما يصيبه ويقول له:

لقد بقيَّ على خروجي من السجن عدة شهور وسأستقبلك عندي بعدما تخرج، فأخذ محمود يعد الشهور عداً على خروجه حتى يستمتع بهدير وابنه، ومضت الشهور تباعاً بكل أحزانها ولكن الفقر يطارده في كل

وقت ومكان، فقد كتب عليه الفقر والحرمان من كل شيء، فحرمان وفقر في المال والأهل والعلم، وفي كل شيء، فهو يتجرع الفقر مرة بعد مرة والشقاء يطارده كأنه خلق لذلك وما يلاقيه من مصائب وابتلاءات تجعل منه إما أن يكون قوياً لدرجة القسوة أو ينهار لدرجة الجنون ، فخرج محمود إلى حريته خارج القضبان والجدران التي تئن من جروح وعذاب من بداخلها ، ولكن القدر قد خبأ له ما يجهله وما لا ينتظره فبعد أيام من خروجه وبعدما قضى مع هدير وابنه أجمل لحظات وأخذ يسعى ليعمل من أجل أن يكتسب المال لينفق على بيته، فقد كان يترقب خروجه إخوة الشاب الذي قتله محمود وفي سكون الليل والناس نيام يأتي إخوة هذا الشاب المقتول في صمت وخفية لينالوا منه، فمحمود قد نام هو وأهله، فدخل هؤلاء الرجال عليهم بسلاح ناري، فأطلقوا النار عليهم وخرجوا بعدما أغرقوا أحمد وزوجته وابنه في دمائهم وأتى الناس بالإسعاف ليأخذوهم إلى المشفى وقد غرقوا في

دماءهم، فمات الولد وماتت هدير وبقي محمود في غيبوبة فاقد الوعي بعدما دخل في جسده خمسة رصاصات، وبعد أيام في غيبوبة طالت وتعدت الثلاثة أشهر لتبرأ جراحه ويفيق أول ما يفيق يسأل على هدير وابنه ولكنهم لم يخبروه في بادئ الأمر ولكنه أصر على ذلك ، وأتى إليه الضابط ليحقق في ما حدث ويأخذ منه استجوابات تخص ما حدث ، فقد كان ينتظر أن يفيق من غيبوبته ، ويفاجئ الضابط بقول محمود له بعدما سأله من الذي أطلق النار عليكم ، فقال :

أنا لم أرى أي شيء ولم أعرف من فعل هذا ، ولكنه في قرارة نفسه يعلم ، فخرج محمود من المشفى من قبل أن يتم شفائه فذهب الي منزله ليتفقد آثار ما فقده من زوجة وابن وكل شيء ، ثم ذهب بعدها إلى هذا الرجل الذي كان معه في السجن فاستقبله هذا الرجل الذي يدعى عواد ولكنه لاحظ الحزن وآثار الوهن والتعب على وجه محمود ، فسأله عواد ما بك ومالي أرى تغيراً عليك وعلى جسدك؟

فقص عليه محمود ما حدث من قتلٍ لزوجته وابنه وما أصابه من طلق ناري في جسده، فعالجه عواد ووقف بجانبه ومحمود يتعجل أن ينتقم لابنه وزوجته وقرة عينه هدير، ولكن عواد ظلَّ يصبره قائلاً له:

سأفعل لك كل ما تريد، فمرت الأيام وذهب محمود إلى قبر زوجته هدير وابنه وفاضت عينه بالدمع، ثم جلس طويلاً حتى استعجله رفيقه عواد وقال له:

كفي يا محمود فالذي ذهب لن يرجع، وسوف تأخذ حقك ممن غدروا بك وبأهلك ، ثم ذهب محمود مع عواد ليأتيا بسلاح ناري ويتتبعا هؤلاء الرجال القتلة وبدأ محمود بواحد منهم كان يسهر في احدى الحانات ليلاءويذهب إلى بيته في الصباح مع الفجر فاختبئ له محمود حتى قابله في الطريق ، فدهش هذا الرجل مع أنه ثمل ، وذكره محمود بما مضى وبما فعلوه من قتل لأهله فارتعد هذا الوغد حتى بال على لباسه من

شدة الخوف وارتعدت فرائسه ، ولكن محمود أنهي خوفه وأطلق على رأسه ما يحويه سلاحه الناري من طلقات ، وبعدها وقف لحظات بجانبه ولكن عواد قال له:

هيا لماذا تتوقف؟

فنظر محمود إليه ثم أسرع نحو السيارة مع عواد ليذهبا بعيداً عن هذا المكان ثم سأله عواد كم بقي منهم؟

فقال له محمود:

فقال له:

ثلاثة فقط، فقال له عواد:

لا عليك سننتهي منهم في أقرب وقت ، وبعد قليل وصلا الى المنزل ، فعواد منزله يشبه القصر وما هو بقصر وبه من المخابئ الكثيرة والخمر لا تنقطع منه أبداً وتأتيه النساء إلى منزله كل ليلة مع اختلافهن ، إلا

واحدة لفت انتباهها وجود محمود في المنزل، فهو شاب وسيم ووجهه خمري اللون وعينه شديدة السواد وتكسوه سحابة من الحزن والوجوم، فجلست بجانبه وقالت له:

مالك تجلس بعيداً وحيداً وما بالك شارد الذهن هكذا؟

فقال لها عواد:

دعيه وشأنه وتعالي، فقالت له:

لا لن أدعه حتى أجعله يتسامر معنا ويشاركنا شرابنا وما نحن فيه، فأخذت تدير الموسيقي وترقص على تلك الأغاني فتذكره بهدير عندما لبست له مثل هذا الفستان الأحمر الذي يشبه لون الدماء فهام في ذكراها وتذكر ضحكها ورقصها له وكلامها إياه وما قضوه مع بعضهما من لذة ولحظات ممتعة فتخيل أنها هي مع الفارق في الشبه والروح

فشتان بين قلب ينبض بالحب والعطاء والبذل والتضحية وقلب ليس فيه سوى اللهو والمتعة .

-الساعة قد تعدت الثانية بعد منتصف الليل وكل شيء يدور في ذهنه من قتله لهؤلاء ومن سيقتله فالانتقام عذاب النفس التي فقدت أعز ما تملك، فقد تركه ولده الوحيد وزوجه الودود وحبيباه الذي لا يملك غيرهما في الدنيا، ففقد وحرمان لأعز الناس وأقربهم إلى قلبه، فقد ماتت أمه وزوجته ومات ابنه أي تحمل ما لا يتحمله أي بشر ، ولكن هذا جعله بدون قلب ، فقد مات قلبه وأصبح لا يبكي على شيء في الحياة كلها، فحدث نفسه في هيام وباله قد شغل ، ثم همس لنفسه قائلاً:

يا تري هل سنلتقي سوياً مرة ثانية مع من نحب في دار غير الدار وفي أرض غير الأرض ، فكم افتقدتك يا هدير وافتقد ولدي وأمي، متى

ينقضي العمر أو أموت حتى الحق بهم ، فالدنيا بغيرهم لا تساوي أي شيء، وبينما هو كذلك قطعت عليه تلك المرأة التي تتمايل أمامه يمنة ويسرة ما يفكر فيه وما جال في خاطره من هواجس ونوازع وشتات في النفس فجلست معه عن قرب ولكنه نهرها وبعدها وقال لها:

دعيني الآن فأنا متعب البدن وليس لي أي مزاج لأي شيء، فأخذت تلك المرأة تحاول معه ولكنه لم يعبأ بها، وأنتهى سمرهم ثم ذهب يخلد للنوم، ولكن ما فعله محمود من قتل بالنهار قد أرق منامه وجعله يفزع عدة مرات أثناء نومه ويفزع صديقه عواد لفزعه، فقال له عواد ماذا؟

ما الذي أفزعك؟

فقال له محمود:

إنه كابوس مزعج أرى كأني أشنق وأموت ، فقال له عواد:

هذا كان يحدث لي في بادئ الأمر عندما قتلت لأول مرة ثم اعتدت علي ذلك، هيا لننام فقد بقي على النهار ثلاثة ساعات فقام عواد وقال:

سأدعك تنام حتى نذهب إلى الرجل الثاني الذي تريد قتله فهذا الرجل ليس هنا بل يقطن في الإسكندرية فسنسافر إليه مبكراً، وذهب عواد لينام أما محمود فقد جفاه النوم وأخذ يشعل سيجارة تلو أخرى وتفكيره يذهب به في أحداث كثيرة.

-ليل طويل مظلم يتهادى بين الظلمات فسماء قد اسودت عليه والأرض قد ضاقت أيضاً فغيوم وأشواك وحياة ليس بها أي فرحة أو أي أمل في الحياة ، فالموت يرقص له ليل نهار، ودنيا الأموات يعيش فيها صفحة الدماء وقد فتحت ولم تغلق بل يتولد منها صفحات وصفحات ، فقد فارقت البسمة وجهه ،فلم يعد يضحك وقد تبدل وجهه الوسيم

الباسم المشرق إلى وجه عابس ومقطب الجبين، فقد ترك لحيته وشاربه حتي بدا كأنه سفاح أو مطارد بين الجبال.

-أتي الصباح مسرعاً فغسل وجهه وأيقظ عواد وتهيئا للذهاب إلى ما يصبوان إليه، فاستقلا السيارة إلى الإسكندرية، وبعد ساعات قليلة يصلان إلى هناك وينزلان بفندق وضعا فيه أمتعتهما ثم توجها إلى هذا الرجل وهو اسمه يّس ويعمل في الميناء، فدخلا إلى هناك وتتبعاه، وعرفا أين يقطن وانتظراه إلى الليل حتى رجع من الخارج، فهو يسهر عند امرأة غانية ويكون عندها كل ليلة تقريباً، ثم أتي هذا الرجل على مقربة منهم، فذهب إليه محمود علي مهل وقابله وجهاً لوجه، فنظرا إلى بعضهما ولكن يس ارتعد لرؤية محمود، وعواد يراقب عن قرب فأمسك محمود هذا الرجل من عضديه وحملق فيه ودماء قلبه تفور ويس يقول له:

انا لم أفعل أي شيء ، فلست أنا من قتل أولادك وأصابك؛ دعني أعيش

خذ مني ما تريد من مال، ولكن محمود ابتدره وأخرج الخنجر من خصره وطعنه به عدة طعنات وهو يقول له:

لماذا قتلت زوجتي؟

لماذا قتلتم ابني؟

ويس قد فارق الحياة ولكن محمود ما زال يطعنه حتى منعه عواد وقال له:

هيا يامحمود كفى لقد فارق الحياة، فالتفت إليه محمود وأسرعا إلى الفندق حتى يأخذان أمتعتهما ويرحلان، وبعد ساعات يصلان إلى القاهرة والفجر يؤذن ، وبعدما ناما عدة ساعات استيقظ محمود قرابة المغرب ، فذهبا هما الاثنين إلى قبر هدير وابنه فجلس محمود عند قبرهما وعواد يشعل سيجارة بالقرب منه، ولكن محمود أخذ يمس لهدير وولده قائلاً لهما وعيناه لم تدمع هذه المرة فقد مات قلبه ولم

يكن هو ذاك القلب الذي ينبض بالمشاعر والأحاسيس المرهفة وما فيه من حنان وعطف، فقد تحول إلى قلب غليظ لا يهمه إلا الانتقام وأخذ ثأره ممن قتلوا زوجته هدير وابنه الوحيد:

لم يبقى إلا رجلين وأنتقم لكما ممن فعلوا بكما ذلك، ثم أنهي جلسته هذه وبعدها ذهب إلى أخته، فجلس عندها بعض الوقت فعاتبته على بعض الأشياء ، ولكنه لم يتكلم معها إلا القليل من الكلام ثم رجع إلى منزل صديقه عواد ليلاً ، فقال له عواد:

أين كنت؟

فالدنيا قد قلبت رأساً على عقب والشرطة تريد أن تعرف من هذا الذي يقتل ولماذا يقتل هؤلاء ، فعليك بالحذر ولا تتحرك كثيراً هذه الأيام حتى يصلوا إلى من يفعل ذلك من الناس غيرنا أو تحفظ ضد مجهول أو....!

-دخلت عليهم هذه المرأة التي كانت بالأمس معهم فصافحت محمود ، واستمرت معه إلى الصباح ثم خرج محمود في الظهيرة ليتابع الشخص الثالث الذي شارك في القتل ويدعى مسعود ويعمل في أحد الفنادق الموجودة في القاهرة، فدخل الفندق على أنه نزيل في الفندق ، فهو يمتلك بعض المال الوفير الذي تركته له هدير، فهي قد ادخرتهم في خلال سنوات حينما كان أبويها يعطيانها المال لتنفق منه وكانت تملك بعض الحلي وبعض الأشياء السمينة ، فمحمود ينفق من هذا المال ويعينه أيضاً صديقه عواد على ذلك .

الفصل الثالث

فها هو اليوم الذي ذهب فيه محمود مع عواد إلى الفندق ليكون ثالث يوم يراقب فيه هذا الرجل الذي يدعى مسعود ، فجلس معه عواد وهما يتناولان الطعام وقال له:

أنت تعرف يا محمود ماذا أعمل ؟

فقال له محمود:

نعم أعرف أنك قاتل مأجور فقال له عواد:

أحسنت محمود، فقال له محمود:

ولماذا تسأل هذا السؤال الآن؟

فقال له عواد:

لأن لدينا مهمة سنأخذ منها بعض المال ، فقال له محمود:

ومن هذا الذى سنقتله؟

فقال له عواد:

إنه تاجر مخدرات كلما قبض عليه حصل على براءة ، فهو يمتلك بعض المحامين والمال فكل هذا جعله يخرج من السجن ومن قضاياه بأعجوبة ، ولكن هناك من يريد تصفيته وقتله فقال له محمود:

وأنا رهن إشارتك فلن أتراجع عن ملازمتك والوقوف في ظهرك ما حييت فأنا مدين لك بوقوفك معي على طول الخط ، فقال له عواد:

نريد أن نتخلص من هدا الشخص قبل مسعود، فقال له محمود:

وهو كذلك ، ثم ذهبا معاً إلى منزلهما وفي الطريق وجدا بعض الفتيان يتحرشون بفتاة في مكان بين الطرقات ولا يقطنه إلا القليل من الناس فحاولوا إنزالها من سيارتها وهي تبكي وتصرخ فأسرع عواد نحوهم ولكن محمود نزل مندفعاً وانقض عليهم في شراسة ، فهذا الموقف يذكره بما فعلوه الجناة معه هو وأهله من قتلهما وإصابته، وبعد صراع معهم

لم يطل كثيراً ترك الثلاثة ملقون على الأرض وبهم من الكدمات والطعنات الكثير، فشكرته هذه الفتاة على صنيعه بها ولكنها بها بعض الكدمات وبجسدها رجفة مما حدث فاستأذن محمود من صديقه عواد أن يعدها إلى منزلها ، فأذن له، فاستقل محمود سيارتها وهي قد أسندت ظهرها إلى الكرسي المرافق له وهي شبه فاقدة الوعي ولكنها أصرت رغم ما هي فيه من التعب والرعب الذي لاقته من هؤلاء الفتية أن تعرف إسمه ، فقالت له في صوت مرتجف ما إسمك ؟

فقال لها:

إسمي محمود ووان ما اسمك؟

فقالت له:

إسمي إسراء ، فأخذ محمود يقود السيارة وبعد قليل قال لها أين تقطنين؟

فقالت له:

في المعادي، فقال لها محمود:

وماذا أتى بك إلى هنا حيث هذا المكان المترامي الأطراف؟

فقالت له إسراء:

كنت أعاين مكان العقار الذي اشتراه أبي حتى نشيد عليه برجاً سكنياً

وأنا من أتولي ذلك، فقال لها محمود:

ءأنت مهندسة؟

فقالت إسراء له:

نعم؛ أنا مهندسة، فقال لها محمود:

ولكن عليك ألا تأتين هذا المكان بمفردك بعد ذلك، فقالت له إسراء:

سأفعل.

-إنطلق صوت الهاتف فردت إسراء:

وعليكم السلام فسألها والدها:

أين أنت؟

فقالت له والعبرات تذرف من عينيها:

إنني في الطريق، فسألها أباها وقلبه قد أحس بشيء نحوها:

ما بك أسمع صوتك على غير نبرته:

فقالت له إسراء:

لا؛ لا شيء أنا قادمة يا أبي، وأغلقت هاتفها ثم بعد برهة من الوقت قالت لمحمود:

ما هو رقم هاتفك؟

فقال لها ما رقمه، فسجلته لديها على هاتفها واتصلت به وهي تنظر إليه قائلة له:

هذا رقمي، فسجله فيما بعد، فقال لها محمود:

سأفعل، ثم دخل محمود بالسيارة قرب مسكنها وسألها:

أين نتوجه الآن بالسيارة؟

فحددت له الشارع الذي تقطن فيه وبعد دقائق وصلا إلى منزلها ووقف بالسيارة في المرأب المخصص لها، ثم أعطاها مفاتيح السيارة وقال لها:

سأنصرف أنا الآن ، فقالت له:

كيف ذلك؟

أيعقل بعدما تفعل بي ذلك أن أتركك تنصرف هكذا ، فخرج والدها وسألها ماذا حدث وما الذي أخرك؟

فقصت له ما حدث معها وما فعله محمود من أجلها ، فلم يتركه الأب الذي يحب إبنته أن يمضي دون شكر، فشتان بين أب يحب أولاده وبين أب لا يعنيه سوى شهوته ومتعته الزائلة فأسرة مجتمعة وليست متفرقة لهي الحصن الحصين لكل فرد في الأسرة، فتفرق الأسر ينتج

عنه ضياع الأولاد وتشردهم وربما سجنهم أو قتلهم بل منهم من يخرج إلى المجتمع ليفسد فيه فيدمن المخدرات أو يبيعها أو يعاقرالزنا أو اللواط أو يمتهن مهنة غير شرعية كالبلطجة والسرقة أو غير ذلك وكثير من هؤلاء تنتهي حياته إما بالقتل أو السجن أو الأمراض ولا سيما أمراض المناعة فيفسد المجتمع وتمتلئ الشوارع بأبناء الزنا واللصوص وقطاع الطرق ناهيك عن فساد نفسه وتدميرها أو قتلها فلا تري في أسرة ترك الأب أولاده لأمهم وذهب هو يلهث وراء نزواته إلا الضياع وسوء الأخلاق.

-دخل محمود منزلهم فحدث بينه وبين أبيها التعارف فتهلل وجه الوالد فرحاً لمعرفة مثل هذا الفتى وما به من مروءة وشجاعة وإقدام فعرض علي محمود عرضاً لما قال له محمود أنه لا يعمل ويبحث عن عمل في أن يكون معهم كسائق وحارس خاص لابنته، ولكن محمود يشغله ما

يخطط له من ثأر لزوجته وولده ، فقال سأفكر في الأمر فما أحسنكم من أسرة طيبة متماسكة، وخرج من عندهم وهو يقول في نفسه:

ما أجمل الترابط الأسري وما به من دفء ورعاية ، فكم تمنيت أن لو كان لي والد على قيد الحياة يحمل عني همومي ومشاكلي ، فحكمة الأب في سن الفتوة لها الشأن والقيمة الذهبية التي لا يعرفها إلا من فقد أباه فذهب محمود إلى الفندق ورأى الرجل الذي يريد قتله ودماء قلبه قد فارت وهم محمود أن يقتله وهو في طرقات الفندق لولا أن جاء عواد فقال له:

أنا كنت في شكٍ من أنك من الممكن أن تخطئ وتقتله هنا ، فصبراً يامحمود حتى ينهي عمله ليلاً ونتبعه إلى الخارج فانتظر محمود هذا الوقت ليثأر من ثالثهم ، وأتي الليل وخرج مسعود متوجهاً إلى منزله وقد سار خلفه محمود بالسيارة واقتربا منه ثم انتظرا حتى دخل في طريق

ليس به مارٌّ فنزل محمود من السيارة وسأله عن عنوان ما ، وقبل أن يجيبه أخرج محمود مسدس وضربه به على رأسه وحمله في سيارته وقاد السيارة بكل سرعته حتى وصل جبل المقطم وقبل أن يصلوا استرد وعيه مسعود، فقال أين أنا ومن أنتم؟

فقال له عواد سوف نجعلك تتنسم آخر نسمات في حياتك ووضع المسدس على جبهته وقال له هيا انزل ، ثم نزلوا جميعاً من السيارة وأخذه محمود إلى حافة الجبل وقال له:

أتذكرني؟

أتذكر هذه الاسرة التي قتلتموها كلها ليلاً على حين غفلة ، ثم ارتفع صوته وقال له:

أتذكر زوجتي وابني حين سالت دمائهم على الفراش ، ولكن الرجل أخذت ترتعد فرائسه ومن كثرة ما رأي من حنق محمود بال الرجل على

ثيابه ولم ينتظر محمود لكثير من الوقت ، حتى وجه المسدس نحوه ثم أطلق عليه كل الطلقات ثم ألقاه من أعلى الجبل وركبا سيارتهما وانصرفا حيث منزلهما، وبعدما وصل محمود إلى المنزل لم يفكر في هذا الرجل الدي قتله ومن أنهى حياته بل كان تفكيره في هذه الفتاة التي كانت معه منذ ساعات فقد شغلت ذهنه بكيانها وبمظهرها وما هي فيه من علم ورزانة في المنطق والشكل العام ، فهي تبهر أي أحد فقوامها ما أحلاه من قوام ولون عينها ما أنضره ولها وجه كأعظم لوحة لفنان ظل يرسم فيها سنوات طوال ، فاتصلت به علي الهاتف فتحدثان سوياً فقالت له إسراء:

كيف حالك وكيف وصلت إلى منزلك؟

هل وجدت بسهولة المواصلات أم ماذا؟

فقال لها محمود:

لا كانت سهلة فأنا قد اعتدت على المتاعب منذ زمن، فقالت له إسراء:

فأين تذهب غداً إن شاء الله؟

فقال لها محمود:

عندي بعض الأمور وسأتفرغ لكم فأخبري والدك بذلك، فقالت له إسراء:

أتود أن تذهب معي غداً فأنا سوف أذهب إلى هناك ومعنا بعض النجارين كي نضع أعمدة وأساسات المبنى ، فقال لها محمود:

لو كنت لوحدك ما تركتك ولذهبت معك وكنت بجانبك، فقالت له إسراء وهي تضحك:

ولكني أريد أن أراك فإن شئت خرجنا الليلة في أي مكان نتحدث فيه، فقال لها محمود:

على الرحب والسعة فأنا مشتاق لرؤياك فصورتك لا تفارك خيالي منذ أن رأيتك بالأمس، فقالت له إسراء:

ما هذا؟

هل هو الإعجاب أماذا أسميه؟

فقال لها محمود:

بل هو كل شيء فقالت إسراء:

سأغلق معك الآن فأمي تنادي علي هيا سلام، فأغلق محمود ثم هام مفكراً بها ، ولكن عواد أتى إليه ليقول له هيا لننهي ما اتفقنا عليه فالرجل الذي سنقتله قد جاءتني مكالمة تلفونية بأنه سيكون بمفرده في منزله هذه الليلة ،فقال له محمود:

أنا مستعد الآن حتى أتفرغ فعندي ميعاد غداً ، فقال له عواد:

إنها تلك الفتاة أم أحد غيرها؟

فقال له:

بلى إنها هي، ثم أخذ يتحاوران حتى ذهبا معاً لقتل هذا الرجل فاستقلا سيارتهما وأخذان سلاحهما وبعد قليل وصلا الى هناك نحو الساعة الحادية عشر مساء ، فالرجل ليس وحده بل معه فتاة للمتعة تأتيه كلما كان وحده فهو غارق في شهواته ورغباته وملذاته ولا يعبأ بأي شيء سوى متعته وما هو فيه من لهو وعبس ، فلا تعنيه حياة البؤساء والفقراء ولا الذين يفقدون ذويهم وفلذة أكبادهم جراء المخدرات وما جلبوه لخيرة العمر من الشباب من سموم تقتل وتدمر وتجعل من المجتمع المستقر مجتمعات للخراب والفساد والإدمان والبطالة وغير ذلك من الانحلال وعدم الإنتاج بل هدم وتدمير وبعثرة لثروات البلد فالأموال تنفق في غير محلها ، فبدلاً من أن تذهب إلى محلها ومسارها الصحيح ذهبت في أيدي من عادانا من غيرنا وفعلوا ما أرادوه من

تخريب للعقول وهدم للثروات والمقدرات ، فهم لم يعرفوا أن يخرجوا الناس من دينهم ولكنهم قالوا:

عليكم بالمخدرات فافتحوا أبوابها على مصراعيها فدخلت تلك السموم كل بيت تقريباً فأصبحت المخدرات في كل منزل والعلاقات المحرمة أدخلوها في كل مكان حتى صرنا أضعف الأمم وأذل أمماً ، فأصبحنا نتجرع الهوان وخيبة الأمل بعدما كنا في مقدمة العالم ونقود قاطرة الحضارة صرنا في ذيل الأمم بل لم يتركونا هكذا حتى رأوا فينا الضعف والذل والهوان والعار والخزي فأخذوا يقتلون فينا ويذبحوننا بشتى الطرق والوسائل، فتفننوا في إذلالنا ، فلا عليهم نعتب بل نعتب على أنفسنا فنحن من نقتل أنفسنا وهم لم يجبروننا على أي شيء من ذلك ونبقى هكذا لا كرامة لنا ولا عز لنا ولا شرف لنا إلا عندما نرجع الى ديننا وأخلاقنا ومبادئنا.

-يدخل محمود ومعه عواد الى منزل هذا القاتل وينقضا عليه فيهرع لما رأى ذلك ولكن الطلقات لم تدع له فرصة للهرب أو الاستغاثة بل لم يسمع إلا صرخات هذه المرأة التي كانت عنده وأيضاً لم ترحمهما طلقات النار من الفرار أو إخراج صوت آخر حتى لا يتركا وراءهما أي دليل أو بصمة ، ويتركانهما ويمضيان ولكن الشرطة هبت للأمر فكل حوادث القتل لابد من فاعلها وبدأ الضابط صلاح يبحث عن هذا القاتل ومن هو بكل وسيلة ممكنة ويفتش هنا وهناك ولكنه لا يعلم أن في الدولة من الكبار من يتولى فعل ذلك ويصفي من يشاء كيفما شاء وبأي وسيلة ولا يهم من هو فلن يصل هذا الضابط الي أي شيء لأنه لا يوجد من الدوافع الشخصية ما يجعله يتعقبها ويصل الى شيء، ولكن من بقي من القتلة ممن قتلوا زوجة محمود وابنه فيعلم من القاتل لإخوته وأيضاً بدأت الشرطة تتأكد من أنه الفاعل لعلمهم بما فعل به وأنه الوحيد المنتفع من قتلهم، فبدأوا يراقبون آخر شخص بقي من هؤلاء الإخوة

ويبحثون عن محمود في كل مكان ، وتأتي الأخبار الى عواد فينذر محمود ويخبره بذلك حتى لا يخرج، فقال له محمود:

وبعد ذلك ماذا سيحدث؟

فقال له عواد:

لا تقلق سأغير لك كل شيء لك وتصبح شخصية أخرى ، فقال له محمود:

ولكني أحب أن أذهب غداً إلى حيث تعلم ، فقال له عواد:

فاذهب ولكن بحذر حتي أغير لك كل شيء غداً ، فقال له محمود:

وهو كذلك، ومضى محمود إلى فراشه وبدأ تفكيره يتشتت فهو يريد أن يتخلص من آخر رجل في القتلة وعواد يكلفه بقتل جديد فلا القتل ينتهي ولا الحياة صار بها استقرار له بل بدت الفوضة تملأ حياته ، فلا يعرف مستقبل نفسه ولا حاضر لها بل ماضٍ نغص عليه حياته وكل

حاضره ، فلم يعد يهنأ بعيش في الحياة ولا لذة لها وقد رسم على وجهه الحزن وبدأ يقرأ على وجهه ألم السنين ، فإذا أحببت أن ترى صورة للبأس والحزن وظلمة الباطن وخراب الأمل فانظر إلى وجه محمود.

دخلت عليه هذه المرأة ورقصت له ولكنها لا تحرك له ساكناً إلا ما يفعله معها، ويمر الليل والنهار ويأتي الليل وذهب محمود إلى إسراء حيث اجتمعا في مكان هادئ يبعد عن الناس وفي حذر من أن يراه أي احد من الشرطة ، فجلس محمود مع إسراء وحدهما وقد غير محمود من هيئته فحلق شاربه ولحيته وجعل على رأسه الشعر المستعار (باروكة) وسألته إسراء لماذا تلبس كل هذا وما هذا الذي تفعله في نفسك؟

فقال لها:

من أجل هؤلاء الفتيان الذين اعتدوا عليك وأنا فعلت بهم ما فعلت فالشرطة تبحث عني ، وجلس في ترقب دائم وقلق قد ظهر عليه ، فقالت له إسراء:

ماذا بك ولما أنت مضطرب هكذا؟

فقال لها محمود:

لا عليك سوف أكون بخير، فأخذ محمود يتمالك نفسه أمامها وتكلمه هي عن والدها ومحمود يرى نفسه أنه ليس بقدر حبها له وأنهما في أخلاقهما وسلوكهما ليس كبعضهما ، فهو القاتل المأجور وليس له أي قلب أو مشاعر وهي إنسانه مثقفة مؤدبة من إسرة كريمة فشتان بينهما ، ثم أخذت إسراء تكلمه عن حياتها، ثم سألت محمود عن حياته فلن يقص عليها ما تود معرفته من تعليم وماض وأسرة وأهل فتهرب من أسألتها ، وبينما هما كذلك دخل رجل يلبس زي الشرطة فجعل محمود يضطرب ويهتز مما لفت أنظارها وجعلها تسأله ما بالك يامحمود ومن أي شيء تخاف؟

فقام محمود وقال لها هيا ننصرف ، فنظرت إليه ولم تتجاهل ما رأته من قلقه وفزعه، فاستقلا كل واحد منهما سيارته وانصرفا وذهب محمود إلى عواد فقال له:

ماذا فعلت في هذه الأوراق التي قلت عنها؟

فقال لها عواد:

سوف نذهب إلى الباشا لينهي لك ذلك ، فقال لها محمود:

أيُّ باشا هذا الذي تتحدث عنه؟

فقال له عواد:

هذا الباشا هو الذي أعطانا هذه الأموال الكثيرة التي اشترينا بها السيارات وغيرها، فتعالى معي غداً وستراه فهو يسأل عنك دوماً ويود رؤيتك.

-مرت الساعات ومحمود ينتظر أن يرى هذا الرجل الذي سمع عنه لعله أن يغير من مسار حياته فأتي الليل وذهب عواد ومعه محمود إلى هذا الرجل الذي يدعى مروان، فوجده محمود وقد أحاطته النساء من حوله يرقصن له ويتمايلن له وهو قد جلس بين أنواع الخمور وما لذ وطاب من الطعام والشراب فدخل عليه عواد يصافحه بحرارة فصافحه محمود وكلم عواد هذا الرجل وهو يشير إلى محمود:

هذا يا باشا محمود الذي حدثتك عنه فابتسم مروان باشا وقال لمحمود:

هيا اشرب وانعم معنا بما تشاء ، فجلس محمود وأتت امرأة تبهر المنظر فسكبت له من الخمر كؤوساً وانتهت السهرة وأخذته إلى الداخل، فقضى معها محمود هذه الليلة وفي الصباح وقبل الظهيرة استيقظ

الجميع وجلس محمود في فناء القصر الذي تحيطه الأشجار من كل جانب وبه حمام السباحة في وسط المكان.

أقبل عواد نحو محمود ثم جلسا معاً حتى يأتيهما مروان ، وبعد قليل جاء مروان وبعده الإفطار وأكواب الشاي فقال لهم مروان:

لعلكم استمتعتم بنومكم الليلة؟

فقال عواد وهو يبتسم:

نعم لقد كانت ليلة عظيمة، ثم استدار مروان بعينيه إلى محمود وقال له:

وانت يا محمود ألم تنعم بليلة طيبة؟

فابتسم محمود وقال له:

نعم لقد استمتعت وقضيت ليلة من أجمل الليالي ثم أشعل مروان سيجارته الكبيرة الضخمة التي يطلقون عليها (سيجار) وأخذ محمود

وعواد يشعلا أيضاً سجائرهما (الكليوباترا)، وبعد برهة من الوقت نظر مروان إلى محمود وقال له:

لا تقلق يا محمود فمشكلتك بسيطة سنغير لك كل شيء، وبعد قليل قال لمحمود وهو ينظر لشخص قد أتى من بعيد من قبل الباب:

ها قد أتى من يغير كل شيء لك فاقترب الرجل شيئاً فشيئاً حتى دنى منهم، ثم ألقى عليهم السلام وجلس معهم وفتح حقيبته السوداء وبه بعض الورق الكثير ثم استخرج منها وريقات تخص محمود وأعطى هذه الوريقات إلى مروان وجلس بعض الوقت ثم انصرف ونادي مروان على محمود وقال له:

تعالي اقترب مني، فقام محمود وجلس بجانبه ثم أمسك مروان بالورقات وأعطاها لمحمود وقال له:

هذه بطاقتك الجديدة وهذا جواز سفرك وشهادة ميلادك ومعك شهادة عليا ودكتوراه في القانون ومن هذه اللحظة أنت شخص جديد وسنفعل لك عملية تجميل بسيطة تغير من وجهك بعض الشيء حتى لا تعرف ولتتناسب مع ورقك الجديد ، ففتح محمود فاه منبهراً لما حدث وتهلل وجهه وقال له عواد:

مرحى؛ مرحى يامحمود هيا عش حياة جديدة مع شخصية جديدة ، وبينما هم كذلك فقد هام محمود بعقله نحو إسراء وما يفعله نحوها فقد شغلت تفكيره ولبه وقلبه وكذلك ما سيفعله في آخر شخص يريد قتله ممن قتلوا زوجته وابنه، فنظر إليه مروان وقال له:

أين ذهبت يا محمود؟

وفي ماذا تفكر؟

ألم تحل مشكلتك بعد؟

أم هناك ما يشغلك؟

فقال له عواد:

انا أعرف ما يشغله ، فدعه الآن يفرح بشخصيته الجديدة، ثم أخذ محمود الأوراق وجلس يومه كله حتى أتى الطبيب وذهبوا به ليفعلوا له هذه الجراحة التجميلية في وجهه، وفي غضون ساعة أجريت له الجراحة، وبعد أيام صار مختلفاً عن ذي قبل فمن شاهده لا يعرفه ولا يوقن أنه محمود الذي يعرفه فتغير إسمه ليصبح اسمه "عمرو محمد عبد العليم .

الفصل الرابع

ومن هذه اللحظة صار محمود لا علاقة له بهذا الإسم ولا يربطه به إلا أخته وإسراء وهذا الرجل الأخير الذي ما زال يريد الإنتقام منه ولكن التغيير الذي طرأ عليه مؤخراً يجعله يثأر من آخر شخص قتل زوجته هدير وابنه الوحيد وبعد أن يتم التغيير الكامل لوجهه وهويته كلفه مروان بأن يكون حارثه الخاص ويده اليمني في كل شيء حتى أعجب به مروان أشد العجب، واستأذن محمود من مروان أن يذهب الي هذا الرجل، فقال له مروان أعرف عنك كل شيء وعن مشكلتك وقتل زوجتك وابنك وسجنك وكل شيء فثق بي وإن أردت أن أساعدك بأي شيء سأفعل، فقال له محمود:

أو "عمرو فقد ذهب هذا الإسم ولكن بطلنا هذا اسمه معنا بهذا الإسم ، وذهب محمود حيث وجه قِبلَته متجهاً إلى هذا الرجل الذي يدعى

مرزوق وهو بلا عمل ولكنه يقف في موقف للسيارات التي تعمل مقابل أجر فيأخذ من السائقين بعض الجنيهات عن كل سيارة وهو يعمل بالنهار وينتهي من عمله ليلاً ، فقد جمع عنه محمود كل ما يحتاجه عن سكنه وعمله وأين يذهب ليلاً ولكن محمود فضل أن يذهب إليه في سكنه ليفعل في أهله ما فعله هو في أهل محمود فهو من أطلق الطلقات على ابنه وقتها، وانتظر محمود حتى جاء الليل وجاءت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فدخل مرزوق منزله المكون من أربع طوابق فله فيه شقة واحدة في الطابق الثاني، فدخل محمود المنزل ولا يخشى من أحد، فقرع الباب وفتح مرزوق ثم وضع محمود على رأسه المسدس وساقه إلى الداخل واستيقظت زوجته فنادت عليه:

يا مرزوق؛ يا مرزوق من بالباب؟

فلم يتكلم ، فأمره محمود أن يقول لها لا أحد فقال لها:

لا أحد، ولكنها خرجت عليهما فلم يتركها محمود لتصرخ أو تفعل أي شيء فبادرها بطلقة في رأسها أودت بحياتها، ونظر محمود الى مرزوق وقال له:

انظر إلى زوجتك فكما قتلت زوجتي قتلت زوجتك ، ثم صرخ في مرزوق وقال له تعالى أين أولادك؟

سأجعلك تتحسر عليهم كلهم ، فأخذ يبكي مرزوق ويقول له:

اقتلني أنا ؛ ودعهم يعيشون؛ أرجوك ،فصرخ فيه محمود وقال له:

أنت لم تترك أهلي يعيشون فأمسك محمود برقبة مرزوق بقوة ودخل على أولاده وهم ثلاثة أولاد ونظر إليهم ولكنه لم يستطع قتلهم ، ثم أغلق عليهم الباب وجر مرزوق إلى خارج الغرفة وألقاه على الأرض وأفرغ فيه ما تبقى من طلقات وفتح محمود الباب وخرج بعدما نظر أعلى وأسفل ونزل من على الدرج ولاحظ ثمة شخص يدخل في الطابق الأول

فانتظر حتى دخل وخرج هو على الفور ولم يسمع أحد طلقات النار لوضعه في مسدسه كاتماً للصوت، فاستقل سيارته بعيداً عن المنزل تجنباً لأي مأزق يقع فيه وذهب الى المقابر.

فالساعة تعدت الثالثة بعد منتصف الليل ولكنه أصر على أن يذهب الى المقابر وجلس على قبر زوجته وابنه ليقل لهما:

ها قد قتلت من أجلكما كل الذين شاركوا في قتلكما، ثم جلس برهة من الوقت وبعدها انصرف وذهب الي حيث يقيم مع مروان فوجد مروان وعواد بمفردهما وما زالا لم يناما ، فجلس معهما ونظر إليه مروان وعواد ثم قال له مروان:

الآن أصبحت متفرغاً بعد مهمتك هذ؟

فقال له عواد:

لقد بردت دماء قلبك الآن أم هناك ما يشغلك؟

فقال له محمود:

لا ليس هناك ما يشغلني ، فقال له مروان:

على كل حال هيا لننام فسوف نسافر غداً إلى السويد فلدينا هناك ما نريد فعله فقام الجميع ليخلدوا إلى النوم ومحمود ينظر لنفسه فها هو قد اقترب من الأربعين من عمره وما زال يقبع في الفقر، فهو يعيش في الففقر المادي والمعنوي، فقد حرم راحة البال وراحة القلب وحرم أيضاء من زوجته وولده وحرم من أمه وأخته فلا يستطع أن يرى أخته بعد التغيرات التي طرأت عليه ،فقد حرم من ماضيه ومن عمره الذي مضى فرغم ما في ماضيه من منغصات وهموم وفقد وحرمان وقتل وسجن وجروح تترا يلاحق بعضها بعضاً فما وجد في حياته لحظة غنيً أو نعيم بالمقارنة لمآسيه وما مرَّ به من فقد لأبيه وخروجه من مدرسته وعيشه بين أحضان الفقر ثم فقده لأمه وحبسه، ثم قتل زوجته وقرة

عينه وولده وها هو ينخرط بين كبار المجرمين والسفاحين فيقتل ويرمل النساء ويتم الأطفال ويثكل الأمهات فقد افتقر قلبه من الرحمة والشفقة والعطف ومن أي إنسانية فقد جعل نفسه مثل الذئب فيمص الدماء ويقطع الأشلاء ،ولكنه ما زال قلبه ينبض بالحب والعاطفة نحو إسراء فقبل أن يخلد للنوم وجد في هاتفه المحمول بضع رسائل ومكالمات منها ولكنه لم يجيبها أو يسمعها لانشغاله بما كان فيه فاتصل بها وبعد ثوانٍ أجبته وقالت له:

عاش من سمع صوتك ماذا حدث؟

لم نسمع لك أي صوت أو نرى وجهك منذ كنا معاً؟

فقال لها محمود:

لقد مررت بعدة منحدرات في حياتي وسوف أسافر غداً وعندما أعود سوف نتقابل وأقص عليك كل شيء ولكن دعينا نتواصل دوماً عبر الهاتف حتى نلتقي ، فقالت إسراء:

ولماذا لم تتصل بي أو حتى تجيبني على طول الوقت؟

فقال لها محمود:

والله ما نسيتك ساعة من نهار أو ليل ولكنني لم أكن لأهتم لأي هاتف أو أي شيء فقد كنت في شبه غيبوبة، فقالت له إسراء:

حتى نلتقي لا تنسى أن لك إنسانة يهمك أمرها ويهمها أمرك، فقال لها محمود:

نعم بل أنت لي كل شيء ولم يبقى لي في هذه الدنيا غيرك، فقالت له إسراء:

لا عليك، فهيا اغلق فالليل لم يبقى به إلا القليل وأبي سينزعج لكلامي معك ، فأغلقا الهاتف وناما.

-الفجر أوشك على الآذان، فليل يتبعه ليل ونهار يليه نهار وتتعاقب الأزمنة وتتغير الأحداث وكل شيء بات متغيراً ، ففكر محمود في ماضيه

وحاضره وما آلت إليه حياته من شتات وتمزق في كل شأنه ، فنظر محمود من الشرفة على السماء والقمر في كبد السماء ويعانق النجوم رغم بعدها عنه ،فتتلألأ أفكاره وذكرياته في الأفق كأنها هالة أصلها يدل على البهاء وباطنها سواد وظلمة قاتمة، فواقع أعمى لا يبصر ولا يغني من جوع ولم يبتسم محمود منذ سنوات ولم يرقص قلبه فرحاً ولم تعانقه ثمة فرحة من أعوام، فقد تبددت كل أحلامه وانتحرت أمانيه وطموحاته فلم يعد له أيّ أمل أو هدف يعيش من أجله إلا هذا الضوء الخافت والوميض البسيط الذي يراه مع حبيبته إسراء ، فنام محمود وآخر شيء فكر فيه هو إسراء، واستيقظ على حلم مزعج هلع منه عندما رأى أنه يمشي في صحراء ولا يرى أي أحد فيها وبعض الرياح الشديدة الهائجة تموج في كل مكان وإعصار يقلع كل شيء من مكانه وفجأة يرى بين الإعصار والرياح ورهج الثرى هؤلاء الذين قتلهم فرؤوسهم مخضبة بالدماء ويسيل الدم من أطرافهم وعيونهم،

وبعضهم يفقد ذراعه أو قدمه وبينما هوكذلك إذا بكلاب تعوي وعددهم أكثر من عشرة كلاب فأحدهم عبر من فوق المقتولين ليقفزعلى محمود فتلقاه محمود وأمسك بأقدامه وبينما هو يصارعه هكذا تداعى عليه من قتلهم من أناس وكل الكلاب أخذوا ينهشون من لحمه، فقام محمود مذعوراً وجلس مكانه ونظر في هاتفه المحمول فوجد الساعة لا تزيد على العاشرة صباحاً وإذا بمروان يبعث له من يوقظه فقال له هيا حتى ندرك الطائرة فالساعة العاشرة والنصف ، وقام محمود من فراشه وبدل ملابسه وتجهز للسفر وبعد الظهيرة ذهبا إلى المطار ليستقلا الطائرة وفي المطار أخرج محمود جواز سفره ونظر فيه الضابط المسؤول ونظر في وجهه وفي إسمه وقرأ الإسم / "عمرو محمد عبد العليم ، وختم جواز السفر وسافرا معاً إلى السويد لينزلا عند رجل به من الثراء ما به فسيارة فارهة وقصر مشيد وتحت إمرته عشرات الرجال والنساء ولا يتكلم بالكثير من الكلام وصوته يسمع ويجاب رغم

تدني صوته وعينه تنم عن غضب أكيد فيأتيه أحد رجاله وقد صدر منه بعض الشيء الذي لا يذكر فأخرج مسدسه وأطلق عليه عدة طلقات أودت بحياته على الفور وملأت الدماء المكان ودخل ثلاثة رجال لجره إلي الخارج ، فنظر مروان وعمرو(محمود) إليه والى سطوته وشدة بأسه ولكن عمرو لم يراعى من ذلك بل لم يعجبه ما حدث واستاء من ذلك وجلس مروان وعمرو مع مستر جوزيف هذا ليبرما معه صفقة سلاح إلى مصر ويقضي عمرو ومراد أربعة أيام فيطوفا فيهما معظم آثار السويد ومعالمها ويرى عمرو الفارق العظيم بين هذه البلد وبين مصر ، فهذه البلاد تهتم بالإنسان كإنسان وتراعي حقه وتقدر مواهبه وتعتني بقدراته وتضع طاقته في محلها حتى إنهم لا يشتكون من شئ سوى انهم لا يجدون عندهم أي مشكلة فمتوسط دخل أحدهم ثلاثون ألف دولار وعددهم تسعة ملايين نسمة وصنعوا في أعوام قليلة ما لم نصنعه نحن في أربع آلاف عام.

-رجع عمرو ومروان من السويد وتملأ الإبتسامة فاه مروان وقلبه يرقص فرحاً بصفقته هناك، أما عمرو فلم يعبأ بما حدث وما يحدث فكل ما يشغله هو إسراء، فسرعان ما قابلها محمود مرات ومرات وتمر الشهور والأيام ويحقق لمروان ثروات وثروات ويقتني محمود سيارة فارهة والأموال الطائلة وتأجل إسراء أي رباط بينهما حتى تحقق ما تصبوا إليه فهي تريد أن تحصل على الدكتوراه ويكون لها عظيم الشأن ، فتمضي السنوات والأيام حتى صار محمود في الأربعينات من عمره وقد ظهر لإسراء هذا الأخ الذي يدعى سعيد وهو يعمل شرطي ومكلف بمراقبة مروان ومحمود (عمرو) وبعد سنوات يستفحل خطرهما ليصبحا من أقوي تجار السلاح في مصر ومروان يكلف محمود بقتل هذا الضابط ويمتثل محمود لأمره ويمضي في مراقبته ويذهب وراءه إلى منزله ، فيجد نفس المنزل هو منزل إسراء ويتعقبه فيجدهما قد خرج مع

بعضهما في سيارة واحدة ويترك سعيد أخته إسراء أمام إحدي الأكاديميات ويمضي ويسرع محمود بسيارته نحوها وينادي عليها:

يا إسراء تعالي اركبي فتقف إسراء بجانب سيارته وتقول له:

عندي ما يشغلني الآن، فقال لها محمود:

لن آخذ من وقتك سوى خمس دقائق ، فدخلت سيارته وانطلق مسرعاً إلى مكان معزول بعض الشيء وتوقف ثم نظر إليها وقال لها:

قولي لي يا إسراء؛ من هذا الذي كان معك في سيارته منذ قليل؟

فقالت له إسراء:

إنه أخي سعيد، فقال محمود:

ءأنت متأكدة من ذلك؟

فقالت له إسراء:

نعم ويعمل في الشرطة ضابطاً، وأنت تذكره عندما أتيت عندنا من سنوات؟

فقال لها محمود:

لقد كان أصغر من ذلك فالأيام تنسي والكل يتغير، فقالت له إسراء وهي حزينة والحزن قد ظهر في عينيها:

لم يتغير كما تغيرت أنت فأنت قد أجريت عملية تجميل لوجهك مع أنك لم تكن تحتاج لذلك، فقال لها محمود:

لقد انتهينا من ذلك، فلماذا تنكشين فيما مضى، ثم نظر إليها في غضب واستدار بسيارته وعاد بها حيث وجدها ثم تركها هناك ومضى ولم يخبر مروان بأي شيء مما عرفه فسأله لماذا فعلت؟

هل قضيت على هذا الضابط أماذا حدث؟

فقال له محمود:

سأنتهي منه قريباً، فارتفع صوت مروان وصاح بصوت أجشّ:

بل الليلة ، لابد أن ننتهي منه ، فانطلق محمود وقال له:

كلف أحداً غيري بقتله، فقال له مروان:

لماذا؟

هل كبرت أم نسيت القتل؟

فقال له محمود:

ولا هذا أو ذاك بل يلزمني بعض الوقت، فقال له مروان:

هي ليلة واحدة وإلا فلا رحمة أو شفقة عند هؤلاء الناس لن يتركونا نعيش.

-ذهب محمود وهو يخاطب نفسه:

لماذا هذا الشخص بعينه؟ ماذا أفعل ياربي؟

هل أقتله؟

أماذا أفعل؟ فاتصل بإسراء وأخذ يحدثها:

كيف حالك؟

فقالت له إسراء:

الحمد لله، فقال لها محمود:

وأنت كيف حالك وماذا تفعلين الآن؟

فقالت له إسراء:

الحمد لله على كل حال؛ أنا لا أفعل أي شئ ، ثم قام محمود وأخذ يسير في الغرفة ، فتراه يتحرك كالليث في القفص فأحست به إسراء بما هو فيه فسألته:

ماذا بك مالي أحس بأنك لست على ما يرام؟

فقال لها محمود:

لا شيء ، ولكن كيف اخبار أخيك الضابط هل هو في المنزل الآن؟

فقالت له إسراء:

ولماذا تسأل عنه هذه المرة بكثرة هكذا؟

فقال لها محمود:

لا لشيء، فقط أود أن أعرف هل هو بجانبك أم لا فلدي ما أود قوله لك، فقالت له إسراء:

وما ذاك يا محمود:

فقال لها:

لا لن يجدي الهاتف، سألقاك غداً الساعة التاسعة صباحاً ، فقالت له إسراء:

وهو كذلك هيا إلى اللقاء، فقال لها محمود:

إلى اللقاء ثم أغلق محمود الهاتف وجلس على كرسي له، ثم شعل سيجارة وفكر فيما سيفعله ، ولكن القدر ساق له ما يبدد ما فعله ،

فدخل الضابط سعيد على أخته وأغلق الباب وجلس بجانبها وتحدث معها قائلاً:

يا إسراء ماذا تعرفين عن عمرو؟

فقالت إسراء:

ومن عمرو؟

فقال لها سعيد:

لا تعرفين من عمرو؟

إنه هذا الشاب الذي تتحدثين إليه وتجالسينه وتذهبين معه أقصد محمود فأنت لا تعرفين عمرو فقالت إسراء:

ماذا تقول؟

فقال لها سعيد:

إنه محمود يا إسراء هو عمرو تاجر السلاح والسفاح المطلوب ، فقالت له إسراء:

ماذا تقول؟

فقال لها سعيد:

محمود الذي تعرفينه قتل خمسة رجال وكان في السجن من قبل في قضية قتل وتاجر سلاح وقد غير ملامح وجهه وغير هويته بدلاً من محمود إلى عمرو وهذا هو الورق الذي به كل شيء عنه وعن سجله في السجن إطلعي عليه وأرجوا أن تبتعدي عنه في أقرب وقت، ثم وقف وتركها تبكي وتنظر في الورق وفي الصباح ذهبت إليه وقابلته في حديقة عامة، ولكن دون أن تتكلم فخاطبها محمود ولم تنطق بكلمة ثم أخرجت له هذا الورق الذي كانت تخبئه في حقيبتها ثم أعطته إياه، فنظر محمود في الورق ثم تركته وحده ورحلت، فأخذ ينادي عليها فلا

تجيب واستقلت سيارتها وذهبت مسرعة وظلت تبكي بكاء الطفل على أمه، ولكن محمود ذهب وأتي ببعض الورق وخبأه في مكان ما وفي الصباح ذهب محمود بعدما اتصل بإسراء وقال لها تعالي فأنا أحتاجك وسوف أعطيك بعض الأشياء المهمة ، فأتت إسراء إليه وأخذت ما معه من ورق ، ثم أوصاها أن تعطي ما يملكه من مال مناصفة بين أخته والفقراء إذا حدث له أي مكروه فانصرف محمود وقد أفعمه الحزن والأسى الكثير، فبكت إسراء وذهبت إلى منزلها ، فدخل عليها شقيقها الضابط سعيد وهي تبكي وأمسك ما معها من ورق ، فقرأ ما فيه وبعدها قام مسرعاً حيث مقر عمله فأخبر مديره بما معه من دليل على إدانة هؤلاء الذين أفعموا البلاد بالسلاح والخراب وقبل أن يفعل أي شيء أتي الليل وجهز محمود نفسه بعدما أخبره عواد بأن مروان ومن معه من كبار المجرمين تجهزوا لقتله فأتاه الخبر فجأة فأخرج ما عنده من أسلحة كثيرة وارتدى واقي الرصاص وأطفئ الأنوار وجلس على أهبة

الاستعداد وبين الساعة الحادية عشر والثانية عشر ليلاً أتي مروان ومن معه من القتلة وحاولوا اختراق المكان ودخول المنزل فأطلق محمود النار على من دخلوا المنزل فقتلهم وبدأ إطلاق النار من الجبهتين ، فالضرب مستمر ويتقدم محمود ويتأخر ويطلق عليهم ويطلقون عليه ويبدل ما معه من سلاح وتنفذ ذخيرته شيئاً فشيئاً وتأتيه رصاصة في ذراعه وينزف ولا يعبأ بذلك ويربط جرحه ويستمر في الدفاع عن نفسه حتى تأتيه رصاصة أخري في بطنه جعلت قوته تتهاوى وبدأ يترنح ويسقط على الأرض ولكنه لم يستسلم وظل يقوم ويتذكر هدير وابنه ومرة يتذكر إسراء ويتردد على ذاكرته كل من قتلهم وتذكر هذا الحلم الذي شاهده في ليلة سفره للسويد ،عندما رأى الكلاب تنقض عليه وهو بين ذلك تأتيه رصاصة في عنقه جعلته يخر على الأرض ليجد طعم الموت ويذهب من الدنيا فلم يجد فيها راحة أبداً أو لحظة هناء وعرف الضابط سعيد وإسراء الخبر فذهبا إلى هناك ليجدوا محمود وقد أثخن

في جراحه ودمائه وقد ارتمى على الأرض وأصبح جثة هامدة لا حراك ولا حياة لها ووقفت بجانبه إسراء تبكي عليه بكاءً مراً، ثم اقتربت منه وهمست له قائلة:

لقد عشت مطارداً ومجرماً ومت كما يموت الجياع في طرق البحث عن الطعام، فما أحقرها من حياة، ثم قبضت الشرطة على مروان ومن معه من القتلة وتجار السلاح، وذهبت إسراء إلى دور الأيتام ومساكن الفقراء ولأخته بما معها من مال فكم كان يعطف عليها ويودها دائماً فهي آخر ما بقي من أسرته، وبهذا تنتهي حياة شخص عانى أشد المعناة ولم يتجاوز عمره الأربعين عاماً وتنقضي حياته بين ركام السنين وآلاف المعذبين ليذهب الى باريه فيسأله عما قدم وأخر.

النهاية